

ولم افض حق العلم ان كان كلما بدا طمع صيرنه لي سلماً  
وابو بكر الخوارزمي على جلالة قدره وسعة علمه واعتداده بنفسه  
يعترف بالاخذ عنه بقوله :

واني والزميك بالشعر بعدما تعلته منك الندى والفواضلا  
كلزم رب الدار اجرة داره ومثلك أعطى من طربقين نائلا

### كتبه

الصاحب من اكثر الوزراء تصانيف ولقد فاق استاذه  
ابن العميد من حيث عدد المؤلفات وهو لم يقتصر على فن  
بل الف في عدة انواع كالدين والتاريخ واللغة والادب  
والاخبار ولو سلمت كتبه من الضياع لكانت مجموعة قيمة  
تضاف الى المكتبة العربية ولكن القسم الاعظم منها مفقود  
او لا يعلم مكان وجوده وما بقي لا يزال مخطوطاً في دور  
كتب الشرق والغرب ولم يطبع منها الا رسالة واحدة سيأتي  
الكلام عليها وفصول من رسائله ومقطعات من شعره مبثوثة  
في كتب الادب والتراجم على سبيل الاختيار واتمثل والاستشهاد  
وهذه اسماء كتبه :

١ - كتاب الوقف والابتداء وهو من اوائل مصنفاته  
ولعله اولها قال الانباري في طبقات الادباء : يحكى عن صاحب  
انه لما صنف كتاب الوقف والابتداء كان في عنفوان شبابه  
فارس الى ابو بكر ابن الانباري وقال له انما صنفت كتاب  
الوقف والابتداء بعد ان نظرت في سبعين كتاباً تتعلق بهذا  
العلم فكيف صنفت هذا الكتاب مع حداثة سنك فقال  
الصاحب للرسول : قل للشيخ نظرت في النيف وسبعين التي  
تظرت فيها ونظرت في كتابك ايضاً .

٢ - المحيط في اللغة وهو معجم لغوى ذكر ياقوت في معجم  
الادباء انه في عشر مجلدات وذكر صاحب كشف الظنون انه  
في سبعة مجلدات وانه كثير اللفظ قليل الشواهد . وفي  
فهرس دار الكتب المصرية ان الجزء الثالث منه موجود  
فيها وهو مخطوط مخروم واول ما فيه من حرف الفاء وينتهي  
الى اول حرف الزاي والمحيط منزلة عظيمة لانه من اقدم  
المعاجم اللغوية . وهذا مثال منه مأخوذ عن الجزء المحفوظ  
في دار الكتب المصرية ومنه تبين طريقة المؤلف في  
الترتيب :

## حرف الذال

### باب الضاعف

#### الذال والراء

ذَرَّ الذَّرُّ صغار النمل والواحدة ذَرَّةٌ ومصدر ذررت الملح  
على الخبز والدواء اليابس في العين واسم ذلك الدواء الذَّرور  
والذَّرارة ما نثار من الشيء الذي تذرّه والذَّريرة فتات قصب  
من قصب الطيب والذَّرِيَّةُ فُعْلِيَّةٌ من ذررت لأن الله ذرَّهم في  
الارض ذرّاً والجميع الذراري ويقال ذَرِيَّةٌ وقري ذرية من  
حملنا مع نوح بتخفيف الراء وذَرِيَّةٌ وذَرِّي السيف فرنده  
والذَرِّي السيف الكثير الماء والذُرور ذُرور الشمس وهو  
اول طلوعها وسقوط ضوءها على الارض وذرّ قرن الشمس  
طلع ورجل ذرّ ذارّه وثرثار في كثرة الكلام بمعنى وذارّت  
الابل عن الماء ذراراً ومذارّة اذا ابت ان تشربه واذروري  
بطنه وهو ان يمتد صفاقه وتنحدر سرته .  
رَذَّ الرَذَاذُ مطر كالغبار واحدها رذاذة ويوم مرذٍ  
وَأَرَذَّتِ السماءُ 'تَرَذُ' إِرْذَاذًا وَأَرَذَّتِ العينُ بَمائها اي  
اسالته وكذلك السقاء .

## الذال واللام

ذَلَّ الدِّلُّ مصدر الذلول ذَلَّ يَذِلُّ ذِلًّا وهو المنقاد  
لك من الدواب وذِلُّ الطريق ما وطي منه . والكرم اذا  
دليت عناقيده قد ذَلَّ تَذِيلًا وكذلك اذا سويت عذوقه .  
والذُّلُّ والذَّلَّة مصدر الذليل ذَلَّ يَذِلُّ والذُّلَّانُ الذباب  
والقوم ذِلَّةً وَأَذَلَّةً وَأَذِلَاءً ورجل ذَلُولِيٌّ حسن الخلق دميث  
وجمعه ذلوليون . وَالذِّلْدِلُ اسفل القميص والقباء ونحوه  
وهو الذُّذُلُ ايضاً والجميع الذلال ذَلَّ . وجاءت الامور على  
أَذْلَالِهَا اي على وجوها ومجاريها . ودعه على أَذْلَالِهِ اي على  
حاله واطو الثوب على أَذْلَالِهِ اي على مبخره اي غره وأَذْلَالُ  
من الناس وذلال ذَلَّ منهم وذُلَّ ذِلَاتٌ وذُلَّ ذِلَاتٌ اي اواخر  
وقليل من الناس . وَالذُّذُلُ الاضطراب والاسترخاء  
واذ لَوْنِيَّ اسرع .

لَذَّ اللَّذُّ واللَّذِيذ في الشراب بلَذَّةً لذاعة واللذات جمع  
اللذة واللذ النوم والألذَّة الذين يأخذون لذتهم واللذالذ  
الحفيف السريع .

## الذال والنون

ذَنُّ ذَنّْ الفحل يَذَنُّ ذَنَيْنًا اذا سال من انفه ماء خائو  
ورجل أذَنُّ يسيل انفه وهو ذُنَانُ الانف وذَنِينُهُ والذُنَانِي  
الرجل الذي يسيل منه الذُنَانُ والذَنَاءُ المرأة التي لا ينقطع  
حيضها ، وجرح لا يزال يَذَنُّ ، والذُونُون نبات ينبت  
امثال العراجين من نبات الفطر الواحدة ذُونُونَةٌ ، وخرج القوم  
يَتَذَانُونُ اي يأخذون الذانين ، والذُنَانَةُ الحاجة والطلبية  
ما ذُنَانَتِكَ وعليه ذُنَانَات من دين اي ذُبَابَات وذَنِينَةٌ من خير  
وذُنَانَةٌ وذَانَةٌ اي بقية ، وقطع الله ذانَ فلان وذانته اي ما ذَنُّ  
منه وسال من عرقه او من ... والمُذَانَةُ العود في تبخر قضاء  
الحاجة والتردد فيه وقد ذاننته وذَنُّ في الامر يَذَنُّ  
والذنان ذن اسفل القميص كالذلاذل واحدها ذَنِينٌ

٣ - ديوان رسائل صاحب : ذكر ابو حيان التوحيدي انه  
كلف ان ينسخ من رسائل صاحب ثلاثين مجلدة وذكر ياقوت  
في معجم الادباء ان ديوان رسائل صاحب عشر مجلدات ومهابكن

عدد المجلدات فان هذا الديوان مفقود ولكن المختار من هذا الديوان الذي سيأتي الكلام عليه يعطينا صورة مصغرة عنه .

٤ — المختار من ديوان رسائل الصاحب ابن عباد : لم يعلم جامعته وهو صورة مصغرة ولكنها تامة عن ديوان رسائل الصاحب لان جامعته اختار من جميع ابواب الديوان ولم يترك منها باباً كما ذكر في المقدمة . منه نسخة في دار الكتب المصرية مأخوذة بالتصوير الشمسي عن نسخة مخطوطة بخط ابي الحسن علي بن احمد ابن زكريا المعروف بابن الشصاص البغدادي فرغ من كتابتها بهمدان في شهر رمضان سنة ٥٥٧ هـ وهي محفوظة بالمكتبة الاهلية في باريس وعدد صفحاتها ٢٢٩ صفحة في كل صفحة ٢٣ سطراً وهي على حسن خطها لا تخلو من بعض الاغلاط ونحن ننقل هنا مقدمة الكتاب لانها بمثابة فهرس له وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكرت اطلال الله بقاءك شديد حرصك على تحفظ بعض رسائل الصاحب الجليل كافي الكفاة رضي الله عنه واحتياجك الى من تستعين به على جمع ذلك مبو باختياراً الاشف فلاشف

منه فوعدتك القيام لك به وجردت له عنايتي وخرجت من كل  
باب من ابواب ديوان رسائله العشرين عشر رسالات ليخف حجم  
هذا المجموع ولا يعتاص تحفظه وقد رجوت ان يقع ذلك  
منك موضع الوفاق والله ولي التوفيق والارشاد .

فالباب الاول في البشائر والفتوح .

والباب الثاني في العهود .

والباب الثالث في الامان والايمان والموافقات والمناشير .

والباب الرابع في امر الحجيج والمصالح والثغور .

والباب الخامس في الاستعطاف وما يجانسه .

والباب السادس في اصلاح ذات البين وتهجين العقوق .

والباب السابع في المدح والتعظيم .

والباب الثامن في الذم وتهجين وما يجري مجراه .

والباب التاسع في التهاني .

والباب العاشر في التعازي .

والباب الحادي عشر في الاخوانيات والمداعبات .

والباب الثاني عشر في التشكر .

والباب الثالث عشر في الاستزارة والتفريع .

- والباب الرابع عشر في التنصل والاسترضاء .
- والباب الخامس عشر في الشفاعات .
- والباب السادس عشر في توصية العمال بتجلب المال واظهار العفاف وحسن السياسة .

- والباب السابع عشر في الادب والمواعظ .
- والباب الثامن عشر في فصول وغرر وتوقيعات ودرر .
- والباب التاسع عشر في الفوارد وهي الكتب النادرة .
- والباب العشرون في الشوارد والكتب المختلفة المعاني .
- وستطلع على فصول منه في آخر هذه الرسالة . ومن امانى ان انشره برمته على حدة

هـ - كتاب الكافي في الرسائل : وهو غير ديوان رسائله ويغلب على الظن انه في اصول الكتابة ورسومها وفنون الرسائل ولعله الكتاب الذي عرفه صاحب كشف المظنون بقوله : رسالة ابن عباد في فنون الكتابة والرسائل رتبها على خمسة عشر باباً . وقد وهم المرحوم جرجي زيدان فجعل كتاب الكافي وديوان رسائل صاحب كتابا واحداً فقال : وللصاحب في



الرسائل كتاب الكافي منه منتخبات خطية في مكتبة باريس<sup>(١)</sup>  
مع ان تلك المنتخبات هي مختار من ديوان رسائله كما ذكر من  
قبل لا من كتاب الكافي .

٦- الكشف عن مساوي شعر المتنبي : الباعث للصاحب  
على تأليف هذه الرسالة هو ان المتنبي لما زار ابن العميد في ارجان  
ومدحه طمع الصاحب في ان يمدحه المتنبي ايضاً فكتب اليه  
يستدعيه الى اصبهان ويبذل له مشاطرته جميع ماله فلم يجبه  
المتنبي على كتابه كبراً ونيهاً لان الصاحب كان في عنفوان  
شبابه ولم يستوزر بعد . فاستاء الصاحب والى تلك الرسالة  
وتتبع فيها سقطات المتنبي وزلاته وفيها كثير من الغمز واللمز  
والتهمك والنخامل واسمها ينبي عن غابة مؤلفها فانه لم يعتمد الى  
الحكم في شعر المتنبي جيده ورديثه بل عمد الى اظهار السخيف  
دون غيره بطريقة نتم على التشفي . والمآخذ التي اخذها الصاحب  
على المتنبي واردة في اكثر الاحيان ولكنها لا تعدو انتقاد الالفاظ  
والصنعة البديعية والنظرات القصيرة في استكناء روح الشاعر

على ان صاحب كان يأخذ من معاني المتنبي في شعره ونثره  
كقوله :

لبسن برود الوشي لا لتجمل ولكن لصون الحسن بين برود  
فانه اغار فيه على قول المتنبي :

لبسن الوشي لا متجملات ولكن كي يصن به الجمالا  
وقوله من رسالة له : « وقد اثنى عليه ثناء لسان الزهر على راحة  
المطر » وهو من قول ابي الطيب :

وذي رائحة الرياض كلامها تبغي الثناء على الحيا فيفوح  
وغير ذلك كثير سيأتي في موضعه . ولما ألف صاحب هذه  
الرسالة ألف القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني كتاب الوساطة  
بين المتنبي وخصومه فجود فيه كثيراً . ورسالة الكشف عن  
مساوي شعر المتنبي طبعتها مكتبة القدسي في ست وعشرين  
صفحة وهي الاثر الوحيد المطبوع على حدة من آثار صاحب .  
٧ - الاقناع في العروض : منه نسخة مخطوطة في مكتبة  
باريس الاهلية مكتوبة سنة ٥٥٩ ونسخة اخرى في دار  
الكتب المصرية عرفها فهرسها بما يلي : « اوله بعد البسملة :

العروض ميزان الشعر به يعرف مكسوره من موزونه الخ ضمن  
مجموعة مخطوطة بخط قديم « واليك مثالا منه مأخوذاً عن تلك النسخة :

الطويل له عروض واحدة وثلاثة اضرب واصله فعولن  
مفاعيلن اربع مرات البيت الاول عروضه مقبوضة والمقبوض  
ما سقط خامسه الساكن كان اصله مفاعيلن فحذفت ياؤه فبقي  
مفاعيلن وضربه سالم صحيح والسالم ما سلم من الزحاف والصحيح  
ما صح من الضروب وهو :

|        |         |       |                       |
|--------|---------|-------|-----------------------|
| ابا من | ذر نكأت | غرورن | صحيفتي <sup>(١)</sup> |
| فعولن  | مفاعيلن | فعولن | مفاعيلن               |

|        |         |       |          |
|--------|---------|-------|----------|
| ولم اع | طهبططو  | عمالى | ولا عرضي |
| فعولن  | مفاعيلن | فعولن | مفاعيلن  |

البيت الثاني عروضه مقبوضة وضربه مقبوض وهو :

|       |          |        |                       |
|-------|----------|--------|-----------------------|
| ستبدي | لك الايا | مما كن | تجاهلا <sup>(٢)</sup> |
| فعولن | مفاعيلن  | فعولن  | مفاعيلن               |

(١) ابا منذر كانت غروراً صحيفتي ولم اعطه بالطوع مالي ولا عرضي

(٢) ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً وبأنيك بالاختبار من لم تزود

وبأقي | كبالاخبا | ر من لم | تزودي  
فعولن | مفاعيلن | فعولن | مفاعلن

البيت الثالث عروضه مقبوضة وضربه محذوف والمحذوف ما سقط من آخره سبب خفيف كان أصله مفاعيلن فحذف من آخره لن فبقي مفاعي فنقل الى فعولن وهو :

اقيموا | بدينعما | نعمنا | صدوركم<sup>(١)</sup>  
فعولن | مفاعيلن | فعولن | مفاعلن

واللا | تقيمواصا | غرين | رؤوسا  
فعولان | مفاعيلن | فعولان | فعولان

زحافه يجوز في كل فعولان الا التي في ضرب البيت الثالث وهو سائبدي لك الايام ان تسقط نونه ويبقى فعول ويسمى مقبوضاً ويجوز في كل مفاعيلن الا التي في الضرب الاول ان تسقط ياءه ويبقى مفاعلن ويسمى مقبوضاً وان تسقط نونه ويبقى مفاعيلن ويسمى مكفوفاً والمكفوف ما سقط سابعه الساكن وبين ياء مفاعيلن ونونها معاقبة والمعاقبة ان يجوز ثبوت الحرفين معاً ولا يجوز سقوطهما معاً . ويجوز في فعولن في ابتداء ابيات الطويل

(١) اقيموا بني نعمان عنا صدوركم والا تقيموا صاغرين رؤوسا

الحرم وهو حذف اول متحرك في الوجد المجموع في اول البيت  
 فاذا خرم فعولن بقي عولن فنقل الى فعلن ويسمى اثلم فان خرم  
 وقد صار فعول بقي عول فنقل الى فعل ويسمى اثرم واذا سلم  
 الجزء من الحرم سمي موفوراً [و] الموفور في فعول خاصة .  
 بيت المقبوض

اتطلب من اسود ييشة دونه ابو مطر وعامر وابو سعد  
 نقطيعه :

|       |         |       |         |
|-------|---------|-------|---------|
| اتطل  | بمن اسو | ديش   | تدونه   |
| فعولن | مفاعلن  | فعول  | مفاعلن  |
| ابوم  | طر نوعا | مر نو | ابو سعد |
| فعول  | مفاعلن  | فعول  | مفاعلن  |

بيت الاثلم المكفوف

شافتك احداج سليمي بعائل  
 فعيناك للبين تجودان بالدمع

نقطيعه

|      |        |       |        |
|------|--------|-------|--------|
| شافت | كاحداج | سليمي | بعائلن |
| فعلن | مفاعيل | فعولن | مفاعلن |

|           |            |           |               |
|-----------|------------|-----------|---------------|
| فَعِينَا  | كَلْبَيْنِ | تَجُودَا  | نَبْدَدْمَعِي |
| فَعُولُنْ | مَفَاعِيلْ | فَعُولُنْ | مَفَاعِيلُنْ  |

مِيتِ الْاَثْرَم

هَاجِكْ رِبْعِ دَارِسِ الرَّسْمِ بِاللُّوِي لَاسْمَاءُ عَفَى آيَهْ الْمُورِ وَالْقَطْرِ

|          |               |           |             |
|----------|---------------|-----------|-------------|
| هَاجْ    | كِرْبَعْنَدَا | رَسْرَسْ  | مِبْلَلُوِي |
| فَعْلُنْ | مَفَاعِيلُنْ  | فَعُولُنْ | مَفَاعِلُنْ |

|           |              |           |              |
|-----------|--------------|-----------|--------------|
| لَاسْمَا  | عَفَقَاا     | يَهْلَمُو | رَوَلْقَطْرِ |
| فَعُولُنْ | مَفَاعِيلُنْ | فَعُولُنْ | مَفَاعِيلُنْ |

٨ - كِتَابُ الزُّبْدَةِ .

٩ - كِتَابُ الْأَعْيَادِ وَفَضَائِلِ النُّورِ .

١٠ - كِتَابُ الْإِمَامَةِ فِي تَفْضِيلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَتَصْحِيحِ

إِمَامَةٍ مِنْ تَقْدِمِهِ .

١١ - كِتَابُ الْوُزَرَاءِ .

١٢ - كِتَابُ عُنْوَانِ الْمَعَارِفِ فِي التَّارِيخِ .

١٣ - كِتَابُ مُخْتَصَرِ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ .

١٤ - كِتَابُ الْعُرُوضِ الْكَافِي : هَكَذَا سَمَاءُ يَافُوتِ فِي

مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ وَلَعَلَّهُ كِتَابُ الْأَقْنَاعِ الَّذِي سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ .

١٥ - كتاب جوهرة الجهرة : هو مختصر كتاب الجهرة لابن دريد والجهرة من أصول كتب اللغة ودواوينها الفه ابن دريد ببلاد فارس لابني ميكال واتباع في ترتيبه ترتيب كتاب العين للخليل بن احمد وسماه بالجهرة لانه اختار فيه الجمهور من كلام العرب .

١٦ - كتاب نهج السبيل في الاصول .

١٧ - كتاب اخبار ابي العيناء .

١٨ - كتاب نقض العروض .

١٩ - كتاب تاريخ الملك واختلاف الدول .

٢٠ - كتاب الزيد بن .

٢١ - ديوان الصاحب ابن عباد : منه نسخة مخطوطة في

مكتبة اياصوفيا بالقسطنطينية وكذلك قصيدتان من شعره

في مكتبة برلين .



## اسلوبه وخصائصه

لم ينقص صاحب شيء من ادوات الاديب الكسبية فهو غزير العلم جم الادب واسع الرواية عالي الثقافة حسن المحاضرة قضى حياته في الطلب والمذاكرة والانشاء والتأليف . ولكن شدة عنايته بتلك الادوات الكسبية ادخلت الضيم على اعظم عنصر في ادبه وهو الطبع وما ينتج عنه من ابتكار في المعنى واستقلال في الرأي .

فحسن اللفظ ومتانة التركيب ورنين الاسجاع وجمال الاستعارة ولطف التشبيه ولباقة التورية ومحكم الاستشهاد وما الى ذلك من ادوات التزيين والخلابة غاية في رأي صاحب لا واسطة ومن اعتبر الادب كذلك قلت معانيه وان كان فكره مولدا وضعف عمل تفكيره وان كان صحيحا واضطر الى استعارة معاني غيره حتى اذا امتح الله عليه بمعنى جديد ابلاه بكثرة ترديده .

لغة صاحب لغة عذبة مانوسة لا غريب فيها ولا مستكره شأن لغة جمهرة الكتاب في عصره فانهم كانوا يتوخون السهولة



والوضوح في المفردات أكثر من الشعراء ، وادباء المشرف  
خاصة ( والمراد بالمشرق بلاد العجم ) معروفون بالترقيق  
قال ابو تمام الطائي :

قد ثقت منه الشآم وسهلت منه الحجاز ورققته المشرق  
فالساحب على طول باعه في علم اللغة وحفظه لغريها لا تكاد  
تجد له لفظة وحشية في رسائله او في شعره وذلك من  
مقتضيات الصنعة في اختيار الالفاظ . وافته في شعره الين  
منها في نثره وقد يسف في بعض الاحيان حتى يأتي بما يشبه  
كلام العامة كقوله وان كان فيه لزوم ما لا يلزم :

يا ابا القاسم قل لي قل لماذا لا تزور  
كنت قد قدمت وعداً فاذا وعدك زور

وهكذا فان شدة حرصه على السهولة تورده احيانا موارد  
الاسفاف . وما يروى عنه من الغريب والوحشي الذي  
كان يمتحن به الطارئين عليه من الادباء محمول على سبيل  
التحدث بنعمة العلم واظهار البراعة في الحفظ والرواية ولكنه  
لم يستعمله في نثر او شعر جريا على طريقة استاذه ابن العميد  
في انتقاء الالفاظ العذبة في الذوق الخفيفة على السمع . قال

«الصاحب في الكشف عن مساوي المتنبي : « ما رأيت من يعرف الشعر حق معرفته وينقده نقد جهابذته غير الاستاذ الرئيس ابي الفضل ابن العميد فانه يتجاوز نقد الابيات الى نقد الحروف والكلمات ولا يرضى بهتذيب المعنى حتى يطالب بتخير القافية والوزن » وقال ايضا بنعي على ابي الطيب المتنبي استعماله الغريب : « واطم ما يتعاطاه التفاسيح بالالفاظ النافرة والكلمات الشاذة حتى كأنه وليد خباء او غذي ابن ولم يطلأ الحضر ولم يعرف المدر » .

.....

للصاحب ولوع بالسجع سبق به جميع من تقدمه من الكتاب قال ابو حيان التوحيدي : « كان كلفه بالسجع في الكلام والقلم عند الجذ والهزل يزيد على كلف كل من رأيناه في هذه البلاد قلت لابن المسيبي اين يبلغ ابن عباد في عشقه للسجع ؟ قال يبلغ به ذلك لوانه رأى سجمة ينحل بموقعها عروة الملك ويضطرب بها حبل الدولة ويحتاج من اجلها الى غرم ثقييل وكلفة صعبة وتجشم امور وركوب احوال لما كان يخف عليه ان يفرج عنها ويخليها بل يأتي بها ويستعملها

ولا يعبأ بجميع ما وصفت من عاقبتها «

وقال ابو الفتح ابن العميد : « خرج ابن عباد من عندنا من الري متوجها الى اصفهان ومنزله ورامين وهي قرية كالمدينة فجاوزها الى قرية غامرة وماء ملح لا شيء الا ليكتب الينا كتابي هذا من النوبهار يوم السبت نصف النهار »

وقال صاحب معاهد التنصيص : عزل صاحب عاملا بقم فكتب اليه : ايها العامل بقم قد عزلناك فقم .

وقد انتقد ضياء الدين ابن الاثير وهو من المغرمين بالسجع سجع صاحب لان معانيه كانت تبعا لاسجاعه اي انه كان يبذل المعنى في سبيل السجع قال في المثل السائر : « واعلم ان للسجع سرا هو خلاصته المطلوبة فان عري الكلام المسجوع منه فلا يعتد به اصلا وهذا شيء لم ينبه عليه احد غيري . . . . . والذي اقوله في ذلك هو ان تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه اختها فان كان المعنى فيهما سواء فذلك هو التطويل بعينه . . . . . وجل كلام الناس المسجوع جار عليه واذا تأملت كتابة المفلقين ممن تقدم كالصايي وابن

العميد وابن عباد فانك ترى اكثر المسجوع منه كذلك .  
الى ان قال فمن ذلك ( سجع الصاحب ) ما ذكره في  
وصف مهزومين فقال : طاروا واقين بظهورهم صدورهم ، وباصلابهم  
نخورهم . وكلا المعنيين سواء . ومن كلامه : لا تتوجه همته  
الى اعظم مرقوب الا طاع ودان ، ولا تمتد عزيمته الى انخم  
مطلوب الا كان واستكان . وكل هذا الذي ذكره شيء  
واحد . وله من كتاب : وصل كتابه جامعاً من الفوائد اشدها  
للشكر استحقاقاً ، واتمها للحمد استغراقاً ، وتعرفت من احسان  
الله فيما وفره من سلامته ، وهناه من كرامته ، انفس موهوب  
ومطلوب ، واحمد مرقوب ومخطوب . وهذا كله متماثل المعاني  
متشابه الالفاظ »

ولم يقف غرام الصاحب بالصنعة عند السجع فحسب بل  
كان منقاداً في اسلوبه الى الصنعة في كل جزء من اجزاء  
الجملة اعني انه لم يكن يقنع بتسجيع الفواصل بل كان يعنى  
بالمزاوجة بين اوائل الجملتين واسطها فيأتي بالكلمة واختها  
واللفظه ولفقها حتى تكون أجزاء جملتيه سجعاً في سجع كقوله :  
لكنه عمد للشوق فاجرى جياذه غراً وقرحاً ، واورى زناده قدحاً

فقدحاً . وقوله : هل من حق الفضل تهضمه شغفاً ببلدتك ،  
وتظلمه كلفاً باهل جلدتك . وقوله : اطع سلطان الذهب دون  
شيطان الهوى . وقوله : الرأي اقومه احكمه وأشدّه أسده .  
وقريب من ذلك قوله : وقد كتبت الى فلان ما يوجز الطريق  
الى تخلية نفسه ، وينجز وعد الثقة في فك حبسه . وقوله في  
استهلال رسالة في تحذير العامة من الخوض في الراجيف :  
( ان الله تعالى مع عظيم حكمته ، وفسيح رحمته ، واستغناؤه  
عن الامم ماضيها وبقاياها ، واستعلائه على الخلائق طائعا  
وعاصيا ، جعل لمواهبه فروضا من الشكر من أقامها ، وعظم  
مشعرها ومقامها ، ارتبطها عليه ، وثبطها لديه ، ومن اساء جوارها  
راكبا هواه ، واخفى منارها ناكبا عن مناه ، ارتجعها منه ،  
وانتزعا عنه ، وتركه مثلة للناظرين ، وعبرة للغابرين ، بذلك  
جرت سنته في الاولين ، وتقدمت معذرته الى الآخرين <sup>(١)</sup> ) .  
وهكذا فقد اربى على استاذه ابن العميد كثيرا في التزام  
احكام الصنعة .

كل ما مربك من مظاهر التزويق والتشويق التي كانت

---

(١) المختار من ديوان رسائل صاحب ابن عباد ص ١٦٥ ( مخطوط )

شائعة في كلام الصاحب لم تكن لتشفي غليله من الغرام بالصنعة  
اللفظية فبداله أن يسن طريقة في التكلف غاية في الغرابة  
وذلك أنه نظم قصيدة في مدح آل البيت تبلغ سبعين بيتاً معرأة  
من الالف اولها :

قد ظل يخرج في صدري من ليس يعدوه فكري  
ثم عمل قصائد كل واحدة خالية من حرف من حروف الهجاء ففتح  
الباب لمن اتى بعده من ادباء الصنعة فجاروه زيادة ونقصاً وتفننوا في  
اللعب على الحروف فانشأ الحريري رسالتيه السينية والشينية  
والتزم حرف السين في كل كلمة من كلمات الاولى وحرف الشين  
في كلمات الثانية واربى عليه من اتى بعده فالتزموا الحروف المهمة  
في القصيدة من اولها الى آخرها وتشدد بعضهم فعين من الحروف  
المهمة عدداً لا يتجاوزها في القصيدة فسامح الله الصاحب وعفاه عنه .  
ولعل الذي اوحى الى الصاحب هذه الفكرة ما يروى عن  
واصل بن عطاء رأس المعتزلة من أنه كان يجتنب الراء في كلامه  
لانه كان يلبغ بها فاعجب الناس به واكبروا فصاحته فاحب  
الصاحب أن يشاطر واصلاً تلك المحمدة ويزيد عليه فاجتنب  
أكثر مما اجتنبه واصل ولكن كان شأن واصل كشأن المريض

الذي يجيد الحمية فيبدو لك صحيحاً وشأن الصاحب كالصحيح  
الذي يمارض فيبدو مريضاً .

ولعل ما يروى عن قس بن ساعدة الايادي من أنه اول من  
قال في خطبه ( أما بعد ) اوحى الى الصاحب أيضاً أن يفتتح بعض  
رسائله بقوله ( أما قبل ) ليساهم الاوائل شرف سبقهم أيضاً فلقد  
كتب الى بعضهم تهنئة بمتجدد نعمة ( أما قبل <sup>(١)</sup> اطال الله بقاء  
سيدي فالحمد لله مولى النعم ومسدي المنع منه ابتداء الاحسان  
واليه مرجع الشكر آخر الزمان وصلى الله على النبي محمد وآله  
الاخير وأما بعد فهذا الله سيدي الموهبة التي ساقها اليه ومدّ  
رواقها عليه . . . . )

وقال في موضع آخر ( . . . . وبعد او قبل <sup>(١)</sup> فهذا الشريف  
حسن الهدى والستر جميل الطريقة والامر . . . )

والصاحب مغرم بانواع البيان يكثر من التشبيه والاستعارة  
والمجاز والكتابة كقوله : « نحن يا سيدي في مجلس غني الا  
عنك ، شاكر لامنك ، قد تفتحت فيه عيون الترجس ، وتوردت  
فيه خدود البنفسج ، وفاحت مجامر الاترج ، وفنقت فارات النارج ،

---

(١) المختار من ديوان رسائل الصاحب ابن عباد ص ١٢٠ وص ١٨٩

وانطلقت السنة العيدان، وقام خطباء الاوتار، وهبت رياح الاقداح،  
ونفقت سوق الانس، وامتدت سماء الند ٠٠٠٠ « وقد كان هذا  
النوع من البيان مستحسنًا في عصر الصاحب قال ابو بكر الخوارزمي  
انشدني الصاحب نتفة له منها هذا البيت :

لئن هو لم يكف عقارب صدغه فقولوا له يسمع بترياق ريقه  
فاستحسنته جداً حتى حمت من حسدي له عليه ووددت لو أنه لي  
بالف بيت من شعري .

وله فصل آخر كل جملة تشبيهات وهو : نحن وحياتك في  
مجلس راحة ياقوت ونوره در و نارنجه ذهب ونرجسه دينار  
ودرهم يحملها زبرجد ٠٠٠٠ «

\*\*\*

لو ترك الصاحب نفسه على سجيته أو لو اقتصد في صنعته  
لرقد الادب باكثر مما رفته لان طبعه فياض وحسه دقيق  
وذوقه صحيح زد على ذلك سعة علمه وسمو ثقافته لذلك فاجوبته  
وتواقيعه وكل ما كان يقوله أو يكتبه بداهة أعلى طبقة مما كان  
يتكلف بصنعه قال ابو حيان التوحيدى : « كان الصاحب كثير  
المحفوظ حاضر الجواب فصيح اللسان قد نتف من كل أدب



شيثاً وأخذ من كل فن طرفاً والغالب عليه كلام المتكلمين المعتزلة  
وكتابه مهجنة بطرائقهم ومناظرته مشوبة بعبارة الكتاب وهو  
شديد التعصب على أهل الحكمة والناظرين في اجزائها كالمهندسة  
والطب والتنجيم والموسيقى والمنطق والعدد وليس له من الجزء  
الآلهي خبر ولا له فيه عين ولا أثر وهو حسن القيام بالعروض  
والقوافي ويقول الشعر وليس بذال<sup>(١)</sup> وبديته غزارة وأما رويته  
نخوة . وكلامه الذي كان يقوله بداهة واجوبته وتواقيعه تدل  
على فصاحة ولسن وشدة عارضة مع أن أكثرها لا يخلو من  
الصنعة التي صارت كالطبع عند صاحب فمن ذلك ما رواه  
بديع الزمان الهمذاني قال: لما ادخلني والذي إلى صاحب ووصلت  
إلى مجلسه واصلت الخدمة بتقيل الأرض فقال لي يا بني أقعدكم  
تسجد كأنك هدهد . وقال أبو منصور البيع: دخلت يوماً على  
الصاحب فطاولته الحديث فلما أردت القيام قلت لعل طولت فقال  
لا بل تطولت .

وقال أبو حيان التوحيدي: كان ابن عباد ورد الري سنة  
٣٥٨ مع مؤيد الدولة وحضر مجلس ابن العميد وجرى بينه

(١) لعل الصواب بذلك

وبين مسكوبه كلام ووقع تجاذب فقال مسكوبه دعني حتى  
اتكلم ليس هذا نصفه ، اذا اردت ان لا اتكلم فدع على في مخدة  
فقال الصاحب بل ادع فمك على المخدة . وطارت النادرة  
ولصقت وشاعت بين الناس وبقيت .

وقال أبو حسن العلوي الهمداني الوصي : لما توجهت تلقاء  
الري في سفارتي اليها من جهة السلطان فكرت في كلام التي به  
الصاحب فلم يحضرني ما ارضاه وحين استقبلني في العسكر وافضى  
عناني الى عنانه جرى على لساني : « ما هذا بشرا ان هذا الا ملك  
كريم » . فقال « اني لاجد ريج يوسف لولا ان تفندون » . ثم قال  
مرحباً بالرسول ابن الرسول الوصي ابن الوصي .

وحبس الصاحب بعض عماله في مكان ضيق بجواره  
ثم صعد السطح يوماً فاطلع عليه فرآه فناداه المحبوس باعلى  
صوته « فاطلع فرآه في سواه الجحيم » فقال الصاحب :  
« اخسئوا فيها ولا تكلمون » .

وقال يوماً لبعض من تأخر عن مجلسه لعله وجدده :  
ما الذي كنت نشتكه ؟ قال : الحمى قال : قه بعني الحماقة  
فقال وه بعني القهوة .

وقال بعض ندماء الصاحب : كنت يوماً بين يديه فقدم  
البطيخ فقلت لا مترك فقال بالجملة لمترك و كنت اريد ان  
اقول لا مترك للبطيخ فسبقني الى التبادر بهذا التجنيس  
واسأذن عليه الحاجب يوماً لانسان طرسوسي فقال الطر  
في لحيته والسوس في حنطته .

وانفذ اليه ابن فارس من همدان كتاب الحجر من تأليفه  
فقال رد الحجر من حيث جاءك ثم لم تطب نفسه بتركه  
فنظر فيه وامر له بصله .

وقال لرجل رفع اليه قصة وهو بكثر الكلام : هذا  
رفع القصص لا رفع القصص .  
ودخل الى الصاحب رجل لا يعرفه فقال له ابو من ؟  
فانشد الرجل :

وئتفق الاسماء في اللفظ والكنى      كثير أولكن لاتلافي الخلائق  
فقال له اجلس يا ابا القاسم .

قال ابو الرجاء الاهوازي لما قدم علينا الصاحب في السنة  
التي جاء فيها نخر الدولة الى الاهواز مدحته بقصيدة قلت فيها :  
الى ابن عباد أبي القاسم الص      احب اسماعيل كافي الكفاة

فقال قد كنت والله اشتهي بان تجتمع كنيستي واسمي ولقبتي  
واسم ابي في بيت . فلما انتهيت الى قولي فيها : « ويشرب  
الجيش هنيئاً بها »

قال يا ابا الرجاء امسك فامسكت فقال :  
ويشرب الجيش هنيئاً بها من بعد ماء الري ماء الصراة  
هكذا هو ؟ قلت نعم ، قال احسنت ، قلت يامولاي احسنت  
انت ، عملت انا هذا في ليلة وانت عملته في لحظة .

ودخل عليه رجل فقال له من اين ؟ فقال من بنج ده وهي  
بالفارسيه خمس قرى ، فقال له الصاحب يحق من كان من  
قرية واحدة فكيف من كان من خمس قرى .

وسأل الصاحب أبا الحسين الربيعي عن مسألة فأجاب  
جواباً خاطئاً فيه فقال له اصببت قبل الارض بين يديه شكراً  
فلما رفع رأسه قال عين الخطأ .

ورفع الضرابون من دار الضرب اليه رقعة في مظلمة  
مترجمة بالضرايين فوقع تحتها في حديد بارد .

وكتب عامل رقعة اليه في التماس شغل وفي الرقعة ان  
رأي مولانا ان يأمر باشغالي في بعض اشغاله فعل فوقع تحتها

من كتب لا شغالي لا يصلح لأشغالي

وقال العتيبي كتب بعض اصحاب الصاحب رقعة اليه في حاجة  
فوقع فيها ولما ردت اليه لم ير فيها توقيعاً وقد تواترت الاخبار  
بوقوع التوقيع فيها فعرضها على ابي العباس الضبي فما زال  
يتصفحها حتى عثر بالتوقيع وهو الف واحدة وكان في الرقعة  
فان رأي مولانا ان ينعم بكذا فعل فاثبت الصاحب امام فعل  
الفا يعني افعل .

على انه كان يتقعر بعض الاحيان في احاديثه على سبيل  
التظرف وما يروى من ذلك مروى عن ابي حيان التوحيدي  
قال ابو حيان : دخل يوماً دار الامارة الفيرزان المجوسي في  
شيء خاطبه به فقال له : انما انت محش محش لا تمش  
ولا تبش ولا تمش فقال الفيرزان ايها الصاحب برئت من  
النار ان كنت ادري ما تقول ان كان رأبك ان تستمني  
فقل ما شئت بعد ان علم فان العرض لك والنفس لك فداء است  
من الزنج ولا من البربر كلنا على العادة التي عليها العمل  
والله ما هذا من لغة آبائك الفرس ولا من أهل دينك  
من أهل السواد وقد خالطنا الناس وما سمعنا منهم هذا النمط .

وقال ابو حيان : سمعته يقول وقد جرى حديث  
الابهرى المتكلم وكان يكنى ابا سعيد فقال : لعن الله ذاك  
الملعون المأبون المأفون جاءني بوجه مكح وانف مفلطح  
ورأس مسطح وسرم مفتوح ولسان مكبح فكلمني في مسألة  
الاصلح فقلت له اعزب عليك لعنة الله الابرج الذي يلزم ولا  
يبرح .

وقال ابو حيان : قال ابن عباد لشيخ من خراسان في شيء  
جرى والله لولا شيء لقطعتك نطعياً وبضعتك نبضياً ووزعتك  
توزيعاً ومزعتك تمزيعاً وجزعتك تجزيعاً وادخلتك في حرامك  
ثم وقف ساعة ثم قال جميعاً .

\*\*\*

بالرغم من كل القيود التي غل الصاحب بها نفسه فان  
الناظر في آثاره يلمح نفساً حساسة شاعرة تتطال من وراء  
الحجب الى جمال الطبيعة في شتى مظاهرها فتطرب لخرير  
المياه وتعشق لطف الازهار وتشم بعبيرها كما ترتاع لمنظر  
الثلج وتخضع امام سعة الفضاء في الارض والسماء وما الى  
ذلك من مظاهر الطبيعة في جلالها وجمالها لذلك فقد اكثر

الصاحب من وصف الرياض والبساتين والازهار والرياحين  
والاشجار والفواكه والثمار واحوال الاجواء والانواء في نثره  
وشعره كقوله في با كورة خلاف قد نور : لتنوير الخلاف  
فضائل لا تحصى ، ومحاسن تطول ان تستقصى ، منها انه  
اول ثغر يبسم عنه الربيع ويضحك ، ودر يعقد على القضبان  
ويسبك ، ولتمايله اذكار بقدود الاحباب ، وتهيج لسواكن  
الاطراب ، وحمل الي قضيب منه ورداته متعادلة ، ولداته متقابلة ،  
فأنفذته مع رقعتي هذه اليك ، وسألت الله أن يعيده الف  
حول عليك ، وقلت :

وقضيب من الخلاف بديع      مستخص باحسن الترتيب  
قد نعى شدة الشتاء علينا      وسعى في جلاء وجه الربيع  
وحكى من احب عرفاً وظرفاً      واهتزازاً يثير ماء ضلوعي  
رقة ما نظمت نحو بديع      مجدحاكي الربيع حسن صنيع  
ولا محل هنا للاستشهاد باكثر من ذلك لأنه سيزد  
عليك كثير من مثله في الفصل الذي يحتوي على نصوص  
من كلامه في آخر هذه الرسالة وفيه وصف الشتاء والثلج  
والفلاة والرياض وما فيها من اشجار وانهار وازهار واطيار

والفواكه كالعنب والتين والثمار كالاجرج والنارنج وما الى ذلك  
من الأشباه والنظائر .

\*\*\*

قد يكون من توضيح الواضح الدلالة على شيوع الروح  
العربية والثقافة الاسلامية في أدب الصاحب ككثرة الاقتباس  
من القرآن الكريم والحديث الشريف وايراد النكات الدالة  
على معرفة باحكام المذاهب والفرق والاستشهاد بامثال العرب  
والتمثل باشعارهم والاشارة الى اجوادهم وفرسانهم وشعرائهم  
وخطبائهم فكل ذلك ماثل في كلامه من ذلك العهد<sup>(١)</sup> الذي  
كتبه عن . وريد الدولة الى القاضي عبد الجبار حين ولاء قضاء  
القضاة فلقد ختم كل فقرة منه بآية قرآنية وفي ديوان رسائله  
كتب<sup>(٢)</sup> أشبه بمتون في تاريخ أدب العرب وقد مرشي من ذلك  
في البحث عن علمه .

ولكن الذي أريد أن انبه اليه هنا هو الاثر الفارسي في أدبه  
فالرجل وان غلب عليه أدب العرب وشغفه حبهم حتى عد من

---

(١) المختار من ديوان رسائل الصاحب ابن عباد ص ٤٠ و ١٤٨ و ١٥١

(مخطوط)



اعلام ادبائهم فقد كان يتقبل القصائد الفارسية التي يمدحه بها الشعراء من الفرس ويميزهم عليها بل كان يمتحن الادباء الطارئين عليه بتعريب الشعر الفارسي .

ذكر الاستاذ براون في تاريخ فارس الادبي ج ١ ص ٤٦٣ نقلاً عن محمد العوفي صاحب لباب الالباب وجوامع الحكايات ان بديع الزمان الهمذاني لما وفد على صاحب كان ابن اثني عشرة سنة فاراد صاحب ان يمتحن برأعته فامر به بتعريب ابيات من الشعر الفارسي لمنصور بن علي المنطقي فسأله البديع عن البحر والروي اللذين يقترحهما فاقترح البحر السريع وروي التاء فعرب البديع تلك الايات بسرعة غريبة<sup>(١)</sup> .

ومها حاول صاحب ان يجاري العرب في بلاغتهم واساليبهم فان الروح الفارسية لا بد من ان تجد منفذاً تطل منه في شعره ونثره وان كان على الندورة من ذلك تشخيص الجماد وانزاله منزلة العاقل المتكلم كقوله :

أتاني البدر باكياً خجلاً      فقلت ماذا دهاك يا قمر

---

(١) لم اجد هذه الايات في ديوان البديع المطبوع في مصر سنة ١٣٢١

قال غزال أتى ليعزلي بحسنه فالقوؤاد منفطر  
فقلت قبل ترابه عجلًا واسجد له قال كل ذا غرر  
قد بايعت النجم السماء له فليس لي مفزع ولا وزر  
ومن ذلك استعمال لعب الفرس كالكرة والصولجان أدوات  
للتشبيه كقوله :

بعثنا من النارج ما طاب عرفه فقليل على الأغصان منه نوافج  
كرات من العقيان أحكم خرطها وابدي الندامي حولهن صوالج  
ومن ذلك قوله وهو بالروح الفارسية اشبه :

لما بدا العارض في الخد زاد الذي أتى من الوجد  
وقلت للعذال يا من رأى بنفسجًا يطلع من ورد  
ومن ذلك تمظيم السلطان وتقديسه كقوله :

لو كان لاخلق آلهان لكان نحر الدولة الثاني  
وكقوله في عضد الدولة :

فوالله لولا الله قال لك الورى مقال النصارى في المسيح بن مريم  
ولو قلت ان الله لم يخلق الورى لغيرك لم أخرج ولم أناثم  
وقوله :

إذا أدناك سلطان فزده من التعظيم واحذره وراقب

فما السلطان الا البحر عظميا وقرب البحر محذور العواقب  
و كقوله من رسالة<sup>(١)</sup> واذا عزم فقد اوقع ، واذا امر فقد نفذ ،  
واذا قال فقد ارتسم ، واذا صال فقد انتقم ، ولالة الارض  
خلفاؤه ، وجنود الاقاليم اولياؤه ، والقدر يخدم امره ،  
والقضاء يتبع حكمه ، والدهر يمثل امره ، والزمان يتقبل  
أخذه وتركه ..... يروني مناكب الجبال الرواجح ، حتى  
يحطها الى بطون الابطاح .

\*\*\*

قلت في اول هذا الفصل ان من يعتبر الادب اعتبار  
الصاحب يضطر لاستعارة معاني غيره وتكرير المعنى الذي يفتح  
عليه به والصاحب نفسه يفتي بسرقة المعاني ولا يرى فيها جناحا  
قال في الكشف عن مساوي شعر المتنبي ص ١١ « فاما السرقة  
فما يعاب بها لانفاق شعر الجاهلية والاسلام عليها ولكن يعاب  
ان كان يأخذ من الشعراء المحدثين كالبحراني وغيره جل المعاني  
ثم يقول لا اعرفهم ولم اسمع بهم ثم يفتش أشعارهم فيقول هذا  
شعر عليه اثر التوليد » ولم ينفر الصاحب بهذا الرأي بل سبقه اليه

---

(١) المختار من ديوان رسائله ص ٢١٨

الادباء والنقاد المتقدمون قال الآمدي في كتاب الموازنة بين ابي تمام  
والبحري : « ان من ادركته من اهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون  
سرقا للمعاني من كبير مساوي الشعراء وخاصة المتأخرين اذ  
كان هذا باباً ما نرى منه متقدم ولا متأخر »

واليك بعض المعاني التي اخذها من غيره قال يصف اقلاماً :  
« وتأنقت في بريها فانت كمناقير الحمام » وهو عكس قول  
ذي الرمة :

كأن أنوف الطير في عرصاتنا خراطيم اقلام تخط وتعجم  
وقال : « الصدر يطفح بما جمعه ، وكل انا مؤد ما اودعه » وهو  
المثل العربي بنفسه « كل انا ينضح بما فيه » ببعض تصرف .  
وقال في رسالة يعزي بها « دفن يده بيده ، واهدى نفسه  
للملحده » وهو مأخوذ من قول اعرابي يرثي ابنه :

بني لئن ضنت جفون بمائها لقد قرحت مني عليك جفون  
دفنت بكفي بعض نفسي فاصبحت وللنفس منها دافن ودفين  
وقوله يعزي أيضاً « وفاح فتيت المسك من مآثره ، كما يفوح من  
مجامره » ينظر الى قول ابي عبد الرحمن العطوي يرثي احمد بن  
ابي دواد :

وليس صرير النعش ما تسمعونه      ولكنه اصلا ب قوم تقصف  
وليس نسيم المسك ما تجدونه      ولكنه ذاك الثناء المخلف  
وقوله « قد ورث الشرف جامعاً عن جامع ، وشهد له نداء  
الصوامع » مأخوذ من قول علي بن محمد العلوي :

لقد فاخرتنا من قریش عصابة      ببط خدود وامتداد اصابع  
فلما تنازعنا القضاء قضى لنا      عليهم بما نهوى نداء الصوامع  
وقوله « انت خدين فكري وسميره ، وامين قلبي واميره ،  
نصرفه كيف احببت ، وتنقله كيف طلبت ، وتسلمه لتناوب  
البر والجفاء ، وتلاعب به كتلاعب الافعال بالاسماء » مأخوذ  
من قول ابي تمام الطائي في الخمر :

خرقاء يلعب بالعقول حبايبها      كتلاعب الافعال بالاسماء  
وقال في الخمر « فلما دبت الكؤوس فيهم ديب البرء في  
السقم ، والنار في الفحم » فالسجعة الاولى مأخوذة من قول  
ابي نواس في الخمر :

فتمشت في مفاصلهم      كتمشي البرء في السقم  
والسجعة الثانية من قول بعض شعراء هذيل يصف قانصاً ظفر  
بصيد بسرعة المشي :

فتمشى لا يحس به كتمشي النار في الضرم  
وقال أبو الفضل الميكالي سرق صاحب قوله :  
لئن هو لم يكفف عقارب صدغه فقولوا له يسمح بترياق ريقه  
من قول القائل :

لدغت عينك قلبي انما عينك عقرب  
لكن المصصة من ريقك ترياق مجرب  
وقال الثعالبي معنى قول صاحب في الثلج :  
و كأن السماء صاهرت الارض فكان النثار من كافور  
ينظر الى قول ابن المعتز :

و كأن الربيع يجلو عروساً و كأننا من قطره في نثار  
وقول صاحب :

يقولون لي كم عهد عينك بالكرى فقلت لهم منذ غاب بدر دجها  
ولو نلتقي عين على غير دمعـة لصارمتها حتى يقال نفاها  
مأخوذ من قول المهلبى الوزير :  
نصارمت الاجفان منذ صرمتني  
وقول صاحب :

هات مشطاً الى وليك عاجاً فهو ادنى الى مشيب الرؤوس

واذا ما مشطت عاجاً بعاج فامشط الآ بنوس بالآ بنوس  
مأخوذ من قول أبي عثمان الخالدي :

ورأتني مشطت عاجاً بعاج فامشط الآ بنوس بالآ بنوس  
واخذ قوله في ابن العميد :

الى سيد لولاه كان زماننا وأبناؤه لفظاً عربياً عن المعنى  
من قول المتنبي :

( والدهر لفظ وانت معناه )

وقوله :

فقات لائنكر وكن عذيري كم صارم جرّب في خنزير  
من قول الحمدوني :

( هبوني امرءاً جرّبت سيفي على كلب )

وقوله :

والله لا راجعته ولو انه كالشمس أو كالبدرا أو كبريه  
مأخوذ من قول ابن المعتز :

والله لا كلمته ولو انه كالشمس أو كالبدرا أو كالمكتفي  
وعقد الثعالي في الجزء الاول من يتيمة الدهر فصلا عنوانه  
« قطعة من حل صاحب وغيره نظم المتنبي واستعانتهم بالفاظه »

ومعانيه في الترسـل « جاء فيه مما يتعلق بالصاحب :

فصل له من رسالة في وصف قلعة افتتحها عـضـد الدولة :

واما قلعة كذا فقد كانت بقية الدهر المديد ، والامد  
البعيد ، تعطس بأنف شامخ من المنعة ، وتنبو بعطف جامع على  
الخطبة ، وترى أن الأيام قد صالحتها على الاعفاء من القوارع ،  
وعاهدتها على التسليم من الحوادث ، فلما أتاح الله للمـدنيا ابن  
بجـدتها ، وأبا بأسها ونجـدتها ، جهلوا بـون ما بين البحور والانهار ،  
وظنوا الاقدار تأنـيهم على مقدار ، فما لبثوا ان رأوا معـقلهم  
الحصين ومثوهم القديم نهـزة الحوادث وفرصة البوابق ، ومجرى  
العوالي ومجرى السوابق .

وانما ألم بالفاظ بيتين لأبي الطيب أحدهما :

حتى أتى الدنيا ابن بجـدتها فشكا اليه السهل والجبل

والآخر :

تذكرت ما بين العذيب وبارق مـجر عواليـنا ومجرى السوابق  
وفصل له : لئن كان الفتح جليل الخطر ، حميد الأثر ، فان سعادة  
مولانا لتبشر بشوافع له يعلم معها ان الله امراراً في علاه  
لا يزال يـديها ، ويصل اوائلها بتواليها



وهو من قول أبي الطيب :

ولله سر في علاك وانما كلام العدى ضرب من الهذيان

( فصل ) ولو كان ما احسنه شظية من قلم كاتب لما

غيرت خطه ، او قذى في عين نائم لما انقبه جفنه . وهو من

قول ابي الطيب :

ولو قلم القيت في شق رأسه من السقم ما غيرت من خط كاتب

( فصل للصاحب في التعزية ) اذا كان الشيخ القدوة في

العلم وما يقتضيه ، والاسوة في الدين وما يجب فيه ، لزم ان

يتأدب في حالات الصبر والشكر بأدبه ، ويؤخذ في ثارات

الأسى والأسى بمذهبه ، فكيف لنا بتمزيته ، عند حادث رزيبته ،

الا اذا روينا له ، بعض ما اخذنا عنه ، واعدنا اليه ، طائفة مما

استفدنا منه . وانما هو حل من قول أبي الطيب :

انت يافوق ان يعزى عن الاح باب فوق الذي يعز بك عقلا

وبالفاظك اهتدى فاذا عز اك قال الذي له قلت قبلا

( وفصل له ) وقد اثني عليه ثناء لسان الزهر ، على راحة المطر . وهو

من قول ابي الطيب :

وذي رائحة الرياض كلامها      تبغي الثناء على الحيا فيفوح  
ومن معانيه التي كررها قوله :  
انت نذل من كرام      انت في الطاوس رجله  
كرره فقال :

وان اباك اذ تعزى اليه      لكالطاوس يقبح منه رجله  
وقوله :

وشادن أصبح فوق الصفة      قد ظلم الصب وما انصفه  
كم قلت اذ قبل كفي وقد      تبني ياليت كفي شفه  
كرره فقال :

ابا شجاع يا شجاع الوري      ومن غدا في حسنه قبله  
قبل في ان كنت لي مؤثراً      فاليد لا تعرف القبله  
وقال أيضاً في هذا المعنى

وشادن جماله      تقصر عنه صفتي  
اهوى لتقبيل يدي      فقلت لا بل شفتي

\*\*\*

نقدم في سيرة صاحب ان نخر الدولة مزح معه مرة فبدت  
آثار الكراهة على وجهه فلم يعد بعدها نخر الدولة لمزاحه بل كان

ينتقل من مجلس الانس الى مجلس الحشمة اذا دخل عليه  
الصاحب . ومع ذلك فقد كان الصاحب يمازح اصحابه الذين  
ينبسط اليهم ويراسلهم بانواع الهزل والدعابة وربما استرسل  
بالفكاهة الى حد المجون . فكأنه كان يعتبر الدعابة ضرباً  
من التهكم والعبث والتناذر لذلك فله ان يمازح غيره ( يعبث به  
ويتنادر عليه ويضحك منه ) وليس لاختد ان يمازحه ولو كان  
سيده نحر الدولة وهذا لون آخر من عجب الصاحب بنفسه وعدم  
انصافه غيره فقد روى عنه انه كان يعيب التيه ويتيه فانظر  
كيف كان أيضاً يعيب المزاح ويمزح . قال في احد شعرائه ابى  
الحسن البديهي :

|                             |                          |
|-----------------------------|--------------------------|
| نقول البيت في خمسين عاماً   | فلم لقبت نفسك بالبديهي   |
| وقال بداعب بعض اخوانه :     |                          |
| قلبي على الجرة يا ابا العلا | فهل فتحت الموضع المتفلا  |
| وهل فككت الختم عن كيسه      | وهل كجلت الناظر الا كحلا |
| انك ان قلت نعم صادقاً       | ابعث نثاراً يملأ المنزل  |
| وان تجبني من حياء بلا       | ابعث اليك القطن والمغزلا |
| وكتب مداعباً :              |                          |

خبر سيدي عندي وان كتمه عني، واستأثر به دوني، وقد  
عرفت خبره البارحة في شربه وانسه، وغناء الضيف الطارق  
وعمره، «وكان ما كان مما است اذ كره» وجرى ما جرى  
مما است انشره، واقول ان مولاي امتطى الاشهب فكيف وجد  
ظهره، وركب الطيار فكيف شاهد جريه، وهل سلم على حزونة  
الطريق، وكيف تصرف في سعة ام ضيق، وهل افرد الحجام  
تمتع بالعمرة، وقال في الحملة بالكرة، ليتفضل بتعريفي الخبر فما  
ينفعه الانكار، ولا يغني عنه لا الاقرار، وارجو ان يساعدنا الشيخ  
ابومرّة، كما ساعده مرة؛ فنصلي للقبلة التي صلى اليها، ونتمكن من  
الدرجة التي خطب عليها، هذا وله فضل السبق الى ذلك الميدان،  
الكثير الفرسان .

وكان الصاحب مع جلالة قدره وسمو مكانته وتبحره بعلوم  
الدين ورواية الحديث لا يحجم عن الهجاء الفاحش ولا يتأثم من  
الاقذاع فيه وقد روى له الثعالبي في يتيمة الدهر اشياء من فاحش  
الهجاء لا سبيل لنقل شيء منها في مثل هذه الرسالة وجريرة ذلك  
ليست على الصاحب وحده بل على العصر الذي كان اهل  
لا يتخرجون من الاقذاع في الهجاء .

## شعره

قل في ادباء العربية من جمع بين الشعر والنثر وجوّد فيها .  
ومع ذلك فلا تكاد تجد عالماً أو ادبياً لا يشارك الشعراء في  
صنعتهم والكتاب يحملتهم يعانون قرض الشعر بين مكثّر  
ومقل ومسهب وموجز .

البواعث التي تغري الكتاب بقول الشعر ( عدا الطبع  
والتظرف والاستزادة من فنون الادب ) هي الكسب والوسيلة اذ قد  
جرت العادة في ادبنا ان يختص الشعر بالمدح والرثاء والهجاء  
لذلك فقد كان الكاتب اذا انتجع ملكاً او وزيراً او رئيساً  
قدم بين يدي حاجته قصيدة يمدحه بها تكون ذريعة له ولو لم  
تكن صنعته الشعر . فلقد روي عن الجاحظ انه مدح بقصيدة  
واحدة غير واحد من الاعيان لان الجاحظ غير مطبوع على  
الشعر وكتاب القرن الرابع الذي عاش فيه صاحب عانوا  
نظم الشعر واكثروا من قوله كابن العميد وابي بكر الخوارزمي  
وابي اسحاق الصابي و بديع الزمان الهمداني الذي خلف لنا مع  
مقاماته ورسائله ديواناً من الشعر . والصاحب نفسه مكثّر من

قول الشعر وله ديوان تقدم الكلام عليه وفي كتب الادب طائفة صالحة من اشعاره يستشهد بها المؤلفون في شتى الفنون وقد مدح الصاحب في اول امره ابن العميد وعضد الدولة وتناول جميع ابواب الشعر المعروفة في عصره فنظم في الادب والحكمة والوصف والغزل والمدح والفخر والرثاء والهجاء والدعابة وهو من احسن الكتاب شعراً ولكن الركن الذي تعتمد عليه منزلته في الادب هو النثر لا الشعر على انه يوجد في البيتين وما فوقهما من المقطعات القصيرة حتى يخيل الى السامع ان الصاحب شارك الشعراء في كثير من حسهم وخيالهم ولكنه اذا اطال انقطع دون البلوغ فاستعان بوسائل الصنعة فاراك من انواعها صوراً غريبة فيها كثير من التأنيق والتخديق ولكنها كالجنة المحنطة لم تنفعها زينتها بعد ان فقدت الحياة لذلك لم تسلم له قصيدة . اسلوب الصاحب في شعره كاسلوبه في نثره من حيث الصنعة والتزويق وربما كانت الصنعة في شعره اكثر كقصائده التي اجتنب في كل واحدة منها حرفاً معيناً من حروف الهجاء ولكن الشعر لم يكن يواتيه بمثل ما يواتيه النثر فكثيراً ما يسمو في انشائه الى منزلة هي في الذروة بين منازل كتاب

عصره أما ابيانه التي جود فيها فلا تحظي من السامع باكثر من  
الاستملاخ والاستطراف وستطلع على أمثلة من شعره في آخر  
هذه الرسالة .

